مدينة الزيدية في التاريخ الحديث والمعاصر 1849- 1962م
دراسة تاريخية

الباحث / محمد سعيد علي سعيد

يجدُ المتتبع لتاريخ تهامة أنه لم يحض بكثيرٍ من الدراسات التاريخية كجزء مهم من تاريخ اليمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي مقارنةً بغيره، ولعل ذلك يعود للظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها منطقة تهامة فقد كان للصراع الطويل على الحكم الاثر البالغ في تخوف سكانها من الكتابة وتدوين الاحداث و الوقائع كما ان هناك سبباً آخر إذ لم يكن بمقدور عامة الناس الحصول على الاوراق لندرة تواجدها وغلاء قيمتها، ومدينة الزيدية احد مدن تهامة التي لعبت دوراً سياسياً وعلمياً مهماً حيث كانت حلقة الوصل بين شمال تهامة وجنوبها ، ومركزاً علمياً يفدُ اليها طلاب العلم من اقصى شمال تهامة وجنوبها ومن جبال ملحان والمحويت بل ومن خارج اليمن ، وقد حضيت باهتمام العثمانيين ادارياً فجعلوا منها مركزاً للقضاء ومقراً لعمالهم الاداريين وثكنةً لجيوشهم لردع القبائل من الشمال والجنوب واستمرت بعد خروجهم تقوم بنفس هذا الدور حتى انتهاء وقت الدراسة 1962م.

انطلاقاً من هذه الاهمية ولإبراز دورها التاريخي جاءت هذه الرسالة بعنوان (مدينة الزيدية في التاريخ الحديث والمعاصر 1849-1962م) للتعريف بمدينة الزيدية ونشأتها وموقعها وأهم علمائها ومشايخها وأهم الأحداث التي وقعت بها وبالقرى والمدن التابعة لها.

تأتي أهمية هذه الدراسة كونها أول دراسة اكاديمية فلم يسبق الكتابة عنها قبل هذه الدراسة ، وما سبق كان عبارة عن مقالات في صحف او تراجم لبعض المؤرخين السابقين او وريقات لأبحاث غير منشورة لا تعدوا عن كونها تعريف بالموقع واهم الاثار والمزروعات التي بها، وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذه الدراسة لتغطية جوانب النقص عن تاريخ هذه المدينة موضحاً دورها السياسي والاداري والاجتماعي والاقتصادي ، كما هدفت هذه الدراسة الى ابراز دور المدينة كحاضرة من حواضر العلم في تهامة ومركزاً لقضاء الزيدية من الحكم العثماني الثاني لليمن 1849-1918م ، وخلال حكم الادارسة ثم حكم الائمة (1824-1962م).

أما الاطار الزمني للدراسة فهي ما بين (1849-1962م) والتي شملت نهاية حكم الاشراف آل خيرات وبداية الحكم العثماني الثاني وحتى قيام ثورة سبتمبر 1962م، إعتمد الباحث المنهج التاريخي القائم على الاطلاع على المصادر الاساسية من مخطوطات ووثائق ومصادر ومقابلات شخصية والمراجع التي تناولت تاريخ المدينة وتحليل المعلومات المذكورة بها ونقدها وتوضيح ما اشتبه منها .

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم الدراسة الى ثلاثة فصول ، جاء الفصل الاول بعنوان (مدينة الزيدية الارض والانسان) ويضم مبحثين ، المبحث الاول وجاء بعنوان (النشأة والموقع) و تناولت نشأة المدينة واهم المدن المندثرة والتي انتقل سكانها الى مدينة الزيدية ثم المراحل التي

مرت بها التسمية قبل ان تستقر باسم (الزيدية) ثم تناول الموقع واهميته ومساحة المدينة ومناخها وتضاريسها الطبيعية واشهر الاودية التي بها .

تناول المبحث الثاني الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة الزيدية والذي تطرق للنظام الزراعي واهم المحاصيل الزراعية وادوات العمل الزراعي ونظام الريَّ المتبع واهم الصناعات الحرفية والتي اشتملت على الصناعات الجلدية والفخارية ومنتجات الحصير والصناعة الغذائية مثل زيت السمسم والحلويات بأنواعها ، كما يغطي هذا المبحث التركيبة الاجتماعية السكانية وترتيبها وانعكاسات ذلك على الاوضاع بالمدينة واهم هذه الفئات مثل السادة والقضاة والمشائخ والحرفيين والعبيد والخدم الذين يقفون في اسف الترتيب للسلم الاجتماعي بالمدينة ، كما تناول المبحث الثاني اهم موانئ الزيدية وما يرد عبرها .

الفصل الثاني بعنوان (مدينة الزيدية في الحكم العثماني الثاني 1849-1918م) ويضم مبحثين الاولُ بعنوان (اوضاع مدينة الزيدية في عهد الدولة القاسمية) كدراسة لوضع الزيدية بعد خروج العثمانيين الاول سنة 1045هـ/1635م واسباب هذا الخروج وما ترتب على هذا الخروج وكيف انتقل الحكم بعدهم للدولة القاسمية ثم كيف كان وضع مدينة الزيدية من طبيعة هذا الحكم الجديد ، كما تناول هذا المبحث ولاة الدولة القاسمية واهم الاحداث التي رافقت فترة حكمهم ثم جاء المبحث الثاني بعنوان (مدينة الزيدية في الحكم العثماني الثاني (1849-1918م) كضرورة وتكملة للمبحث الاول وتناول تاريخ مدينة الزيدية في عهد الاشراف آل خيرات الذين اقترن حكمهم بدخول المذهب الوهابي الى تهامة اليمن كما تناول اهم الاحداث التي وقعت في عهد من تولى الامارة منهم ، بعد الشريف حمود ابو مسمار الذي كان اول من سيطر على تهامة ، كما تناول علاقة الشريف حسين بن علي حيدر بمفتي مدينة الزيدية محمد بن عبدالله الزواك حتى وفاة الشريف في مكة سنة 1271هـ و تناول المبحث ايضاً اهم القوى التي تصارعت في تهامة ودور مدينة الزيدية من ذلك الصراع وكيف انتهى بعودة العثمانيين الى تهامة مرةً اخرى سنة 1265هـ/1849م ، كما تناول ذكر العمال الاداريين (القائم مقام) وما رافق فترة حمهم من احداث بالزيدية .

تطرق الفصل الثالث لمدينة الزيدية في عهد الادارسة والأئمة تناول المبحث الاول فيه (مدينة الزيدية في عهد الدولة الادريسية 1918-1924م) وشرح هذا المبحث نشأة الدولة الادريسية وسيطرتها على شمال تهامة ثم الصراع مع الدولة العثمانية والامام يحي بن حميد الدين ، ثم تناول المبحث مدينة الزيدية في عهد الادارسة واهم عمالهم ودور مدينة الزيدية في

الصراع الذي دار بين خلفاء المؤسس على الحكم والذي انتهى بزوال دولة الادارسة من الخارطة السياسية لشبه الجزيرة العربية .

أما المبحث الثاني (مدينة الزيدية في عهد الائمة 1925-1962م) فعرض فترة حكم الامام يحي ودخول جيوشه الى مدن تهامة بما فيها الزيدية بمساعدة شيخ قبيلة صليل ابراهيم بن عبدالله قوزي الذي انقلب فيما بعد على حكم الامام يحي وقاد ثورة صليل التي انتهت بهروبه الى مملكة عبدالعزيز بن سعود ، ثم تناول العمال الادريين في عهد الامام يحي واهم اعمالهم في مدينة الزيدية ثم تناول وصول ولي العهد سيف الاسلام احمد الى مدينة الزيدية ومبايعة مناصبها وعلمائها له بالإمامة ، وكيف ظلت الزيدية وقبائل صليل تابعةً هادئة طوال فترة حكمه واحتاجت بعض الوقت حتى تعلن الانضمام للجمهورية العام 1962م ، ثم تحدث المبحث عن عمال الامام احمد في الزيدية واهم اعمالهم والاحداث التي رافقت فترة حكمهم وكان ختام هذا المبحث بتناول بعض الاثار المهمة في مدينة الزيدية من حيث تاريخ وطريقة بنائها واهميتها.

تعتبر مدينة الزيدية وما تبعها إدارياً وقضائياً أحد مدن بطن تهامة ما بين شمالها وجنوبها في القسم الغربي من اليمن ، على بعد 63كم شمال الحديدة ، وهي مركز قبيلة صليل الاداري والقضائي وهي مدينةٌ زراعية تعتمد على مياه الامطار ووادي سردد ، والفلُ والسمسم والخضروات من أهم مزروعاتها ومناخها شديد الحرارة والرطوبة صيفاً يميلُ الى الاعتدال شتاءً ، وهي أحد حواضر العلم في القرن الثاني والثالث عشر واكتسبت اهمية أكبر بعد اعتمادها مركزاً للقضاء منتصف القرن الثالث عشر ، الأمر الذي جعل من تاريخ هذه المدينة السياسي والعلمي هدفا للبحث وأهم النتائج التي توصل اليها البحث جاءت كالآتي :

1- بدْأ تكونها بتجمع قبائل من ذرية زيد بن ذؤال ، المنتقلين من شمال بيت الفقيه الى وادي سردد بحثاً عن الماء والكلأ و مجاورين لقبيلة الحشابرة المتواجدة بالمكان قبلهم.
2- سميت الزيدية نسبةً الى ذرية زيد بن ذؤال حيث اطلق عليهم اسم الزيديين ثم نسبت الى الفقيه دهل بن ابراهيم بن محمد عمر حشيبري وسميت بيت الفقيه بن حشيبر ، ثم جمعت التسميتين في بيت الفقيه الزيدية ، ثم حذف المضاف اليه واستقرت التسمية بمدينة الزيدية.
3- ازدادت عمراناً وتطوراً بعد اندثار مدينتي المهجم من جهة الشرق وابيات حسين الاقرب اليها من جهة الشمال ، وذلك بانتقال غالب سكانهما الى الزيدية بسبب الاضطرابات والتخريب الذي طال المدينتين نهاية حكم الدولة الرسولية.

4- إرتباط مدينة الزيدية بمدينة وميناء اللُحَيْة ادارياً وماليا واعتبارها منطقة واحدة وذلك في فترة حكم الدولة القاسمية لليمن بعد خروج العثمانيين الاول 1045هـ.

5- حضيت مدينة الزيدية باهتمام الاشراف آل خيرات وخاصةً في عهد الشريف حسين بن علي حيدر ، الذي ربطته بمفتي مدينة الزيدية وعالمها السيد محمد بن عبدالله الزواك المتوفي 1311هـ ، صداقةٌ واخوةٌ جعلت من الشريف حسين بن علي كثير الاقامة بالزيدية وكثير الجلوس مع علمائها .

6- فقهاء وعلماء الحشابرة الذين انتشروا في حواضر المدن العلمية اليمنية طلباً للعلم كانوا هم من بدأ النهضة العلمية في مدينة الزيدية واكملها بنو الاهدل قم ظهر مجموعة من العلماء الافذاذ ممن اكملوا هذه المسيرة العلمية في مساجد المدينة.

7- جاء من نتائج هذه النهضة العلمية تكون مدرستين علميتين في الزيدية على المذهب الشافعي، بمسجدَّيّ صائم الدهر والجامع الكبير، تخرج منهما عدد ممن تابعوا هذه النهضة العلمية بالزيدية.

8- حكم الامام محمد بن علي الادريسي مدينة الزيدية بعد خروج العثمانيين منها بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى العام 1918م ، وظلت تحت حكمه حتى العام 1925م.

9- لَعِبَت مدينة الزيدية دوراً مهماً في فترة الصراع الادريسي الداخلي بينهم فقد جعل الامير مصطفى الادريسي من مدينة الزيدية مركزاً لجيوشه وعاصمةً لدولته .

كان لمشايخ صليل في عهد الائمة الدور الابرز والاهم في سير أحداث تاريخ مدينة الزيدية ، واما المدينة فاكتفى مشايخها بالتبعية لهؤلاء المشايخ وكان دورهم مساندٌ ومساعدٌ للعمال في عهد الامام يحي وابنه الامام احمد.

10- تعد حادثة سحب سلاح قبائل صليل هي الحادثة الأبرز في القرن الرابع عشر (في عهد الامام يحي بن حميد الدين (1904-19948م) حيث انتهت التمردات في قبيلة صليل وظلوا خاضعين لحكم الامام يحيى ثم ابنه احمد من بعده حتى قيام ثورة السادس والعشرين من ثورة سبتمبر العام 1962م.

تم مناقشة الباحث محمد سعيد علي سعيد في يوم الأحد الاول من رجب 1439هـ الموافق 18مارس 2018م، بقاعة رقم (1) بمبنى كلية الآداب/ جامعة الحديدة،من قبل لجنة المناقشة والحكم المكونة من:

أ. د / أحمد أحمد صالح العرامي	مناقشاً خارجياً ورئيساً
أ . د / عبدالودود قاسم حسن مقشر	مشرفاً علمياً وعضواً
أ. د / جمال علي النظاري	مناقشاً داخلياً وعضواً

وبعد مناقشة مستفيضة من قبل اللجنة منح الباحث درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير ممتاز وبمعدل 93% .